مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 13 - 25 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

استدعاء الشخصيات التراثية في شعر فاتح علاق

The Recall of the Traditional Personalities in Fateh ALLAG's Poetry

د. محمد رغميت *
Dr.Mohamed reghmit
جامعة يحي فارس–المدية (الجزائر)
Universiteyahia fares-medea/ alger
mhamedreghmit@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/11/09	تاريخ القبول: 2021/05/02	تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى توظيف الشّاعر فاتح علاق للشّخصيات التراثية، بمختلف جوانبها التاريخية والأدبية والإسلامية والصوفية؛ حيث أصبحت ظاهرة استدعاء الشخصيات سمةً، طبعت الشعر العربيّ المعاصر. ولم يكن الشعر الجزائري استثناءً إزاء هذا التطور الشعري، على مستوى الأدوات الموظفة في التشكيل الشعري، وعلى مستوى التجربة الشعرية والإبداعية. وقد استدعى الشاعر الشخصيات التاريخية، كما أنَّه استعان بالشخصيات الإسلامية، وبالشخصيات الأسطورية اليونانية والعربية، وكذلك الشخصيات الصوفية التي كان لها حضور لافت عبر مجموعاته الشعرية المختلفة، كابن عربي، والنفري، الحلاج، وغيرهم؛ حيث استطاع أن يعكس من خلالها بعض أحداث الواقعِ المأساويّ الذي كان يحسّ به، ومنْ هنَا يأتي تساؤُلنا عنْ مدى حضور الشخصيات التراثية في شعر فاتح علاق؟

الكلمات المفتاح: الشعر الجزائري، فاتح علاق، الشخصيات التراثية، التناص، الشعر المعاصر.

Abstract:

This study seeks to reveal how did the poet Fateh ALLAG employ of the traditional personalities, in its various aspects of historical, literary, Islamic and Sufi, where the phenomenon of the recall of personalities became a feature characterized contemporary arabic poetry, and Algerian poetry was not an exception to this contemporary poetic development at the level of tools employed in poetic formation in the presentation of poetic and creative experience, and the poet called historical figures, as used by the Islamic personality of the prophets and righteous, and also the Sufi personalities who had a remarkable presence through his various poetic groups, such as Ibn Arabi, Nafri, Halaj, and others, Where he

* محمد رغميت. البريد: mhamedreghmit@gmail.com

was able to reflect some of the tragic events he felt, hence our question: how far is the presence of the traditional personalities in Fateh ALLAG's poetry?
Keywords: Algerian poetry, Fateh ALLAG, the traditional personalities, intertextuality, contemporary poetry.

مقدمة:

تعدّ ظاهرة الاستفادة من التراث خاصيّة من خصائص القصيدة الحديثة؛ إذ عمد الأدباء والشعراء المحدثون والمعاصرون إلى الاستفادة من الموروث القديم، بأشكاله المختلفة: التاريخية والأدبية والدينية والأسطورية والصوفية، وازدادت هذه السمة بشكل لافت مع شعراء الحداثة الذين اعتنوا بتدبيج قصائدهم بألوان تراثية مختلفة؛ سعيا منهم إلى التجديد والتحديث الشعريّ.

وقد سلك الشعراء المعاصرون العرب في الاستفادة من التراث، طرائق متعددة حيث وظفوا التناص والاقتباس، وتقنية القناع واستحضار الشخصيات الدينية والتاريخية والأدبية والوقائع التاريخية البارزة، وبذلك أضحت ظاهرة الاستفادة من التراث، ملمحا من ملامح التجديد الشعري المعاصر.

إنّالشعر الجزائري المعاصر لم يكن بعيدا عن التطورات، التي مست الشعر العربي بشكل عام، ولذلك كان له نصيبه من التجديد والحداثة، وقد ظهر ثُلّة من الشعراء الجزائريين الشباب، الذين استفادوا من التجربة الشعرية الجديدة، وحاولوا أن يسيروا على نهج كبار شعراء الحداثة، مقتبسين من الموروث التاريخي الديني والأدبي القديم.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على شعر فاتح علاق، من حيث توظيفه للتراث، واستدعاؤه للشخصيات المختلفة، معتمدا على منهج الوصف والتحليل، ومن هنا يمكننا أن نطرح الإشكالية الآتية: ما مدى حضور الشخصيات التراثية في شعر فاتح علاق؟ وكيف جسّد الشاعر هذه الشخصيات، واستثمرها في بناء رؤيته الشعرية؟

1-استدعاء الشخصيات التراثية:

ويُقصَدُ باستدعاءِ الشخصيّة التراثيّة "توظيفها واستخدامها لحمل بعدٍ من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي: أنها تصبح وسيلة تعبيرٍ وإيحاء في يد الشاعر يُعبِّر من خلالها عن رؤياه المعاصرة"[1] ولذلك اتجه الشعراء المعاصرون إلى التراث يستلهمون شخصياته وأعلامه على أنه من الملحوظ أن الشخصيّات "التي حظيت بالقدر الأعظم من اهتمام شعرائنا المعاصرين هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة، وأصبحت في التراث

رمزا لتلك القضايا، وعناوين عليها سواء كانت القضايا سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو حضارية أو عاطفية أو فنية"[2]

إنّ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، وفي الشعر الجزائري ليس مجرد توظيف في سياق زمني وحدثي ما، بل هو" محاولة إعادة صياغتها في القصيدة، ودمج تلك الشخصيات في زمن الشاعر، الذي استعارها واختارها قناعا يتخفى من ورائه"[3].

والجدير بالذكر أنّ استدعاء الشخصيات يتخذ عدة أشكال؛ فأحيانا يتّحِدُ الشاعر بالشخصية، ويجعل منها قناعا يبث من خلاله أفكاره وخواطره وأراءه مستخدما صيغة ضمير المتكلم، ويتّخذ الشّاعر من الشخصية هذا الموقف، حين يحس أن صلته بها قد بلغت حد الاتحاد والامتزاج بها، وأنّ الشخصية قادرة بملامحها التراثية على أن تحمل أبعاد تجربته الخاصة[4]، ومن ثم فإنه يتّحد بها، ويتحدث بلسانها، أو يدعها هي تتحدث مضفيًا عليها من ملامحه، ومستعيرا لنفسه من ملامحها. وأحيانا يقيمها بإزائه ويحاروها متحدثا إليها، ومستخدما صيغة المخاطب[5].

لكنّ هذا التمثُّلَ لم يتوقف عند هذا الحد؛ بل ذهب كثير من الشعراء المتأثرين بالشخصيات إلى حدّ الاتِّحاد والاندماج في الشخصية المستدعاة؛ حيث نجد الشاعر يتحدث بلسَان الشخصية المستدعاة (ضمير المتكلم) يتّحد ويمتَزجُ بها[6]، وخاصّة الشخصيات الصوفيّة، مثل: الحلّاج، ورابعة العدوية، وغيرهما.

أ- الشخصيات الدينية:

كثيرا ما كان يشبه الشّاعر فاتح علاق* رسالته الشعرية، برسالة النبلاء والحكماء في الكشف والتوجيه والإرشاد وتنوير العقل والقلب؛ فالشاعر -عند علاق-هو " ذلك الكائن الأسطوري الذي يسكن الكلمة، ويطل على الناس من شرفتها، ينظر إلى عالمنا من سمائه؛ فيري فوضانا، ويلاحظ اعوجاجنا ويتألم لأمراضنا وانحرافنا، فيلم أشياءنا المحطمة ويبث الروح في أشلائنا المتناثرة"[7]. يقول الشاعر مستحضرا قصة إبراهيم وإلقائه في النار، موظفا لها بطريقة مغايرة، حيث قَلبَ المشهدَ، وصوَّر نمرودَ في النار، وجعل إبراهيم محتطبا، ولم تكن النار بردا وسلاما على النمرود، حيث يقول:

- سَيعُودُ إبراهيمُ محتطبـًا حتّى يـَرَى نَمرودَ في اللهـــــــبِ
- يا نارُ كوني حارّةً أبـــدًا لا تترُكي أثرًا على التّـــــــــربِ[8].

كما أنه استحضر عادا، وثمود قوم صالح، واللافت أن الشاعر رمز بعاد وثمود إلى التجبر والطغيان والظلم الذي كان يراه الشاعر في واقعه الأليم، يقول الشاعر:

- كَذّبَت عـــــــــادُ بالنّـــذر
- ورَاغت ثَمــودُ الي نَاقَـــــتِي
- بعد أن ثابَ قَلبي الي النَّهر[9].

شخصيات (قابيل، وفرعون، وأبو لهب، وزوجته حمالة الحطب) كان لهم حضور في شعر فاتح علاق؛ حيث ضرب بهم مثلا للصراع بين الحق والباطل، بين الروح والجسد، بين الأرضي والسماوي، حيث يقول في قصيدة "على طريق إرم":

- قَابيلُ لم يتُب عن جريمَتِه
- وما نَسيَ الكبرَ فرعونُ
- أو جفَّ دمعُ نَبيّ
- أبُو لَهبٍ ما يزالَ يحثُّ الخُطوبَ
- وحمَّالةُ الحطبِ[10]

ويبدو أن الشاعر تبنى جدلية الروح والجسد، بالمعنى الصوفي "فهو يرى في الجسد الشهوات الحسية، والوقوف عند حدود الجسد وقوف عند حدود الحيوانية، والاستغراق في الملذات يعني القضاء على الإنسانية، والركون إلى الشهوات خطيئة تحول دون ترقي الإنسان إلى مقامات عليا ترفعه إلى الله "[11].

لم تكن قصة يوسف غائبة في نصوص الشاعر حيث استحضرها وتمثلها في شعره، مستعينا بها في توضيح تجربته الشعرية[12]، حيث يقول الشاعر في قصيدة" وقالت غزة":

- ن، ص، ر
- هُو الدّمعُ يا أَبي قد تَلظَّى
- وَأورَق جُرحِي
- فأينَ تَسابِيحُ أشجارِنَا
- قدْ بَكى الحَجرُ
- إنِّي أرَى أحدَ عشرَ كوكباً سَاجداً لدمِي.[13]

لقد مزج الشاعر بين معاناة يوسف من كيد إخوته ومعاناته في غيابات الجب، وبين معاناة أهل غزة المحاصرين من كل الجهات، وجعل القاسم المشترك بين معاناة يوسف وغزة الخذلان والغدر من الإخوة والأقارب، كما صوّر المرارة والحسرة المشتركة بينهما؛ فظلم ذوي القربى أشد مضاضة.

ومن ذلك ندرك أن الشاعر لم يوظف شخصية يوسف عليه السلام توظيفا تقريريا مباشرا؛ وإنما وظفها بطريقة خاصة وأسقطها على واقعه المعاصر، ومزج –تشبيها–بين قصة يوسف وقصة أهل فلسطين المحاصرة من قبل العدو والصديق والشقيق.

ب– الشخصيات التاريخية:

لقد عمد الشعراء المعاصرون إلى استحضار بعض الشخصيات التاريخية التي كان لها أثر ووزن في الزمن الذي عاشت فيه، مستلهمين من هذه الشخصيات معاني الاستبداد والقهر أو معاني البطولة والنصر، ذلك أن دلالة البطولة والنصر في قائد معين " تظل بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة باقية وصالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة وهي في نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة"[14].

ويُعدُّ الحجاج بن يوسف " أكثر شخصيات هذا النوع شيوعا في شعرنا المعاصر ربما لأنه أكثر هذه الشخصيات تمثيلا لمعنى البطش والاستبداد فهو في رؤيا شعرائنا رمز لكل قوة باطشة تعمل على قمع الحق بالقوة وعلى إخماد أي صوت يحاول أن يرتفع في وجه طغيانها"[15]. حيث يقول الشاعر في ديوان آيات في قصيدة "قيامة الشهيد":

– مَا زلتُ أغضبُ للنَّخيلِ وللنّدَى
– مَا زلتُ أصرخُ في المدَى: الموتُ للحَجَّاج[16].

"الحَجَّاجُ" عند الشاعر رمز الاستبداد والاحتلال والقهر والظلم، وقد دأب الشعراء المعاصرون وبخاصة شعراء الحداثة: كأدونيس* ومحمد أبو دومة، وغيرهما من الشعراء على تصوير شخصية الحجاج شخصية البطش والدكتاتورية المتسلطة، ويجعلونه رمزا للظلم والتسلط وتقييداللحرية.وفي ذلك يقول الشاعر في قصيدة " قيمة الشهيد":

– أنَا ديدوشُ والعربِي
– أنَا زيغوتُ والحواسْ
– أنَا لُطفِي وبُوجمعَة
– فَلتطفئُوني إنْ قدرتُم شمعةَ شمعهْ
– سأظلُّ أصرخُ في المدَى:
– لكَ الطُّوفانُ يا حَجَّـاجُ[17]

لقد جمع الشاعر في هذا المقطع من القصيدة بين شخصية الحلاج التاريخية القديمة وبين شخصيات تاريخية حديثة تمثلت في كوكبة من أبطال الثورة الجزائرية، وقد اتخذ الشاعر من الحَجَّاجِ جلادا، حيث رمزا للقهر والاحتلال الفرنسي وجعل من أبطال الثورة: (ديدوش والعربي بن مهيدي وزيغوت يوسف وسي الحواس والعقيد لطفي) رموزا للتحدي والبطولة والوقوف في وجه الطغيان، وقد جمع الشاعر بين هذه الشخصية، وشخصية الحلاج في إحدى قصائده، وجعلَ من الحلَّاج ضحية ومن الحَجَّاجِ جلادا.

ج– الشخصيات الأدبية:

من الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي هو أكثر المصادر التراثية وأقربها الي نفوس شعرائنا المعاصرين. ومن الطبيعي أيضا أن تكون شخصية الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمرُ الذي أكسبها قدرةً خاصةً على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر[18].

إنّ من بين الشخصيات الأدبية الأكثر حضورا في الشعر المعاصر هي شخصية المتنبي وعلى الرغم من غنى هذه الشخصية بالدلالات، وتعدد أبعادها فإن "البعد السياسي بالذات من بين أبعاد شخصية المتنَبِّي كان أكثرها اجتذابا لشعرائنا الذين حاولوا أن يُعبّروا من خلاله عن كثير من الجوانب السياسية في تجربة الشاعر المعاصر وقد استغل هؤلاء الشعراء مواقف المتبني من كافور وحمّلوه الكثير من الدلالات السياسية"[19]. يقول الشاعر في قصيدة له بعنوان " رؤيا" مستحضرا المتنبي في أقواله وحِكمه:

- اِقرأْ في البَحرِ فَاتِحتي
- اللَّفظ والمعنَي من قولِ المتنَبِّي
- "وسِوى الروم خَلفَ ظَهرِكَ رومْ
- فعلَي أيِّ جَانبيكَ تَميلُ."[20]

أمّا الشعراء الذين كانوا يمثلون قضايا اجتماعية وإن كان لهم في نفس الوقت بعض الأبعاد السياسية فأبرز من اجتذب شعراءنا منهم الشاعر الجاهلي عنترة العبسي "الشاعر والفارس العبد الذي كانت حريته قضيته الاولي وهمه الأساسي الذي فتن شعراءنا فحاولوا أن يعبروا من خلاله عن بعض القضايا الاجتماعية ذات البعد السياسي"[(21)]. يقول فاتح علاق مستلهما بطولة عنترة بن شداد العبسي:

- يا عبس أين عنترةُ في هذا الليل
- ما بال الأرض ساكنة

- ما بال الجو مقرور
- وسيوفنا نائمة في الظلّ
- ذُبيانُ أين حماة الدّار[22]

هذا بالإضافة إلى شعراء آخرين استحضرهم الشاعر وأشار إليهم في مجموعاته الشعرية منهم عبيد بن الأبرص حينما جعله عنوان لإحدى قصائده "من مذكرات عبيد بن الأبرص" في مجموعته الشعرية" آيات من كتاب السهو". وكذلك الشاعر العباسي الشريف الرضي الذي تناص مع بيته الشهير: "وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب" وذلك في قوله:

- وتلفتت عيني فمذ خفيت غرناطة عني تلفتت قدس[23]

هذا **و** لم يكتف الشاعر باستدعاء الشخصيات الشعرية العربية بل تعدّاها إلى الشخصيات الأجنبية التي تأثر بها الشعراء العرب وكان لها بصمة في أعمالهم الأدبية، ومن هؤلاء الشاعر "أبو لينير" حيث يقتبس بعض مقطوعاته الشعرية قائلا:

- "الزُّهُورُ تتحولُ في عَيني الي لَهَبٍ
- إنِّي أتأَمَّلُ بِتعبُّد
- وأَبتسمْ للمخلوقات التي لم أخلقْهَا بَعدُ"[24]

د- الشخصيات الأسطورية:

ظلت الأسطورة موردا سخيا للشعراء، يجسدون عن طريق معطياتها الكثير من أفكارهم ومشاعرهم مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة، ومن خيال طليق لا تحده حدود[25].

وتعدّ شخصية "السِّندباد البحري" من أكثر شخصيات "ألف ليلة وليلة" استحواذا على اهتمام شعرائنا وشيوعا في شعرنا المعاصر حتّى لا نكاد نفتح ديوانا من دواوين الشعر الحديث إلا ويطالعنا وجه السندباد من خلال قصيدة او أكثر من قصيدة وما من شاعر معاصر إلاّ وقد اعتبر نفسه سندبادا في مرحلة من مراحل تجربته الشعرية[26].

لقد وجد الشعراء في هذا النّوع من القصيدة ما يسد تطلعاتهم الدائمة إلى البحث والمغامرة، وغدت أسطورة السندباد ظاهرة تجلب الانتباه في شعرنا الجزائري المعاصر. فهي رمز الاكتشاف والبحث عن عوالم الامتلاء والخصوبة، وقد وظف الشاعر علاق عدة نصوص أسطورية مشهورة، جمعت بين الأساطير اليونانية والفرعونية والأساطير العربية مثل السندباد البحري والعنقاء وحتى الأساطير الشعبية الجزائرية، ولعلنا

نذكر منها أسطورة السندباد التي وردت في ديوان "آيات من كتاب السهو "في قصيدته: " انكسارات ربيعية"، حيث يقول فيها:

- هَذَا زمانٌ أضاعَ الطريقَ
- فكنْ أنتَ أنتَ
- غَمرتْنا مِياه المحيطاتِ سَهوًا
- ولاَ سِندبادَ لنَا غيرُ هذَا الحَريقِ[27].

إنّ اللافت في توظيف الشاعر لأسطورة السّندباد أنّه وظّف الأسطورة بطريق الاستنجاد وليس التحدّي، ذلك أنّ السّندباد رمز يمثل عند بعض النّقاد" طموح الإنسان إلى الحرية والرغبة في الكشف عن الغامض والمجهول بالمغامرة في الرحلة وتخطي الصعاب"[28]، في حين أنّ الشاعر استنجد بالسّندباد من الطوفان الذي غمر البلاد في بداية التسعينيّات لعله ينتشله من هذه الحيرة والضياع الرهيب، التي كان يحس بها الشّاعر، وهذا يدل على حالة اليأس والإحباط من هذه الفتنة التي جثمت على الصّدور بعد تأزّم الوضع السياسيّ والأمنيّ يومئذٍ.

كما وظف الشاعر فاتح علاق أسطورة أخرى وهي أسطورة العنقاء، هذه الأسطورة التي تحمل في طياتها أبعادا ودلالات تحيلنا إلى فكرة الموت والانبعاث، إذ يقول الشاعر في قصيدةٍ عنوانها: "العنقاء":

- لَقدْ عضَّ المدَى رُوحِي
- وأسلَمَنِي إلى نَارِي
- سَأنْهضُ (مثلَ عنقاءِ الرّمادِ من الدَّمارِ).[29]

فقول الشاعر سأنهض (مثل عنقاء الرماد من الدمار) يمثل تحديا لهذا الواقع وهروبا إلى عالم رحب، رافضا لواقع مرير يعانيه شعبه من الجراح في فترة سنوات الجمر "التسعينيات". كما يوظف أسطورة أخرى أيضا وهي أسطورة سيزيف، حيث يقول في قصيدة "عودة التتر":

- منْ يزحزحُ صَخرةَ سِيزِيفَ عنِّي
- ويرفعُ عنّي الصَّغَار
- منْ يَرُدُّ النِّبالَ التي تَخرقُ الآنَ صَدرِي[30]

ويبدو أن الشاعر وظف الأسطورة بطريقة استنجادية اسعافية –مرة أخرى–مما يدل على عجز الشاعر عن تحمل الوضع المأساوي، الذي طبع البلاد في تلك الفترة الصعبة مما ألجأ الشاعر إلى استحضار

أسطورة سيزيف الذي أعيتهُ الصخرة؛ ذلك أن سيزيف حُكِم عليه " بدفع الصخرة الى قمّة الجبل، فإذا بلغ القمّة تدحرجت منه إلى أسفل، فيستأنف دفع الصخرة مرة أخرى، وإلى الأبد. فهي رمز لضياع الجهد المبذول في الحياة "[31].

هـ – الشخصيات الصوفية:

لقد مثل استدعاء الشخصيات الصوفية في الشعر الحديث والمعاصر ظاهرة لافتة للنظر من قبل النقاد، ولذلك نجد بعض الشعراء مثل: "صلاح عبد الصبور قد اختار أن يكون حلاجا جديدا، واختار أدونيس شخصية النفري الهائمة بحثا عن رؤية اسشراقية "[32].

فليس غريبا أن يُعبِّر شاعرنا "عن بعض أبعاد تجربته من خلال أصوات صوفية، فالصلة بين التجربة الشعريّة خصوصًا في صورتها الحديثة، وبين التجربة الصوفيّة جِدّا وثيقةٌ "[33].

إنّ تأثر الشاعر فاتح علاق بالشخصيات الصوفية كان بسبب اطلاعه على الأعمال الشعرية المشرقية التي تناولت أعلام التصوف وأعمالهم الإبداعية؛ لذلك قام باستدعاء جملة من الشخصيات الصوفية في شعره، واتخذ منها أمثلة ونماذج يحتذى بها في سلوك الطريق الصوفي واجتياز المقامات والأحوال، ولذلك نراه يستحضر كلا من الجنيد ورابعة العدوية وبشر الحافي في قصيدته ذات النزعة الصوفية، وهي قصيدة" على طريق إرم" حيث يقول فيها:

- هذَا فؤادُ الجُنَيدِ يَلوحُ
- وذا قَلبُ بِشْرٍ يَطُلُّ
- ورَابعةُ تَتألَّقُ في كَبدِي
- هذِي مَنازلُهم فَاستظِلِّي بها
- منْ هَجيرِ الرِّغابِ
- ومنْ سطوةِ الجَسدِ[34]

ولعل من أبرز الشخصيات الصوفية التي استدعاها الشاعر هي شخصية الحلاَّج، ثم أنّ هذه الشخصية " كانت محور العدد الأكبر من الأعمال الشعرية التي استخدمت شخصيات صوفية، حتى إنّ الأعمال التي كتبت حولها تفوق في مجملها ما تناول سائر الشخصيات الصوفية مجتمعةً"[35].

وقد سبقَ الشاعرَ جملةٌ من الشعراءِ الروّادِ في تناول شخصية الحلاّج، فصلاحُ عبد الصبور ألّف" مسرحية الحلاج"، وعبد الوهاب البياتي كتب قصيدة عنوانها" عذاب الحلاج" وأدونيس كتب قصيدة

"مرثية الحلاج"، وكتب شاعرنا قصيدة " الحلاّج على الصليب". وقد عمد إلى محاولة نسج قصة الحلاّج بطريقة مسرحية شعرية، تناولت شخصية الحلاج مع شخصيات صوفيّة أخرى كالجُنيدِ، والشِّبْلِي، حيث يقول الشاعر في قصيدة "الحلَّاج على الصليب":

- مصْلوبًا هُنا ما زِلتُ أنتظرُ
- وهذا الوقتُ يمضِي مسرعًا
- والعمرُ والأحلامُ والمطرُ
- وذِي دنيايَ واقفةٌ[36].

ومن ثمّة يتّضح أن استدعاء الشاعر لقصة صلب الحلاج لم يكن مجرد سرد لمضمونها سردا تقريريا، بل تجاوز ذلك، ووظّف الشخصيّة وعناصرها التراثيّة وما تَحملُه من أبعاد توظيفا فنيّا، يُعبِّر عن هموم الإنسان المعاصر، وقضاياه الشائكة بعد تأويل هذه العناصر تأويلا معاصرا واستخلاص دلالاتها الشاملة المستمرة بعد تجريدها من ملابساتها ودلالاتها الوقتية العابرة[37].

خاتمة:

لقد ساهمت عملية استحضار الشاعر للشخصيات التراثية في توضيح تجربته الشعريّة، والمواقف التي عبر عنها الشاعر من خلال قصائده الشعرية؛ حيث إنّه مزج بين مواقف هذه الشخصيات وآثارها، وبين إسقاطاتها على الواقع الذي صوّره الشاعر.

وما يمكن ملاحظته جليًا من خلال البحث هو تنوع أشكال وأنماط استحضار الشخصيات لدى الشاعر؛ فمرة يتكلم على لسان الشخصية كما تكلم على لسان يوسف عليه السلام، ومرة يَتَماهَى مع الشخصية تماهٍ تامًا كما فعل مع الحلاج، ومرة عبر التّناص مع نصوص لشخصيات تاريخية وإسلامية، أو مقولات قديمة، كما فعل مع المتنبي والشريف الرضي، وابن عربي، ومرة عن طريق الحوار بين شخصيات متعددة مثلما فعل مع الحلاج والشبلي والجنيد.

إنّ ما طبع قصائد الشاعر هو توظيفه للشخصيات المستدعاة في سياقات جديدة، وبأبعاد سياسية واجتماعية، وليس مجرد تكرار للسياق التاريخي للشخصية؛ حيث عمد إلى تكييف الشخصيات حسب المواقف الجديدة التي رسمها الشاعر من خلال أزمات: مرحلة التسعينات، أو جراح غزة وقصة يوسف وإخوته ورمزه للعرب، والحلّاج رمز للتضحية عن الكلمة، والحَجَّاجُ رمز للسلطة الظالمة، والنّمرود رمز للتجبر.

أمّا بخصوص طبيعة الشخصيات المستدعاة فيلاحظ تنوعها، على أنّ ثمّة شيء من هيمنة الشخصيات الصوفية على الشخصيات الأخرى حيث كان لها وجود لافت مثل الحلاج الذي عنون به ديوانه الرابع ما في الجبة غير البحر، وكذلك الجنيد ورابعة العدوية والنفري، وبشر الحافي، وغيرهم من أعلام التصوف مما يوحي بتأثر الشاعر بالنزعة الصوفية، وكذلك تتضح من خلال المصطلحات الصوفية التي وظفها في شعره.

وممّا تميز به الشاعر في شعره هو استحضاره لكثير من البلدان والمدن، على غرار الجزائر وغزة وطيبة، ودلفي، وبغداد بالإضافة إلى استحضاره المعارك الإسلامية مثل غزو التتر لبغداد، وحتى إشارته لانتفاضات فلسطين ولبنان وغيرهما.

وما يلمس–أيضا–هو اتساع دائرة الشخصيات المستحضرة من الشخصيات التاريخية القديمة مثل فرعون، والأدبية الفنية كالمتنبي والشريف الرضي، والشخصيات الإسلامية التي تمثلت في بعض أسماء الأنبياء الواردة في شعره، والشخصيات الأسطورية مثل أوديب والسندباد والعنقاء وسيزيف، والشخصيات الصوفية كالحلاج ورابعة، وحتى الشخصيات الغربية مثل شخصيّة "أبُو لِينير". كما أنّ هذا التنوع في استحضار الشخصيات دليل على الاطلاع الواسع للشاعر على المدونة التراثية العربية، وكذلك الثقافة الغربية.

هوامش:

[1] – عليّ عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،(د.ط)، 1997، ص105.

[2] – المرجع نفسه، ص 138

[3] – محمد بنعمارة: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص: 266.

[4] – ينظر: عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 209

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص 209

[6] – ينظر: السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للدراسات، الجزائر، ط2، 2008، ص 210.

* – فاتح علاق: شاعر وناقد وأكاديمي جزائري معاصر، ولد الشاعر فاتح علاق بمدينة تابلاط–المدية–يوم 19 جوان 1958 وفيها درس المرحلة الابتدائية والمتوسطة تحصل على شهادة الليسانس بقسم اللغة العربية سنة 1981، تحصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1982، تحصل على شهادة الماجستير سنة 1987 وحصل على شهادة دكتوراه دولة في نظرية الأدب سنة 2003، سافر إلى عدة بلدان عربية وأجنبية، منها سوريا وفرنسا وتركيا، وهو حاليا أستاذ بجامعة الجزائر–02– كما حصل فاتح علاق على جائزة مفدي زكريا المغاربية سنة 1999. وله أربع مجموعات شعرية، وهي (آيات من كتاب السهو، الجرح والكلمات، الكتابة على الشجر، ما في الجبة غير البحر)، وله مؤلفات نقدية من أهمها (مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر)، هذه الترجمة سلمها لي الشاعر فاتح علاق بالمكتبة المركزية، جامعة الجزائر–02–يوم الأحد 2017/04/09.

[7]– فاتح علاق: الجرح والكلمات، دار التنوير، الجزائر،(د.ط)، 2003، ص5.

[8]– فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2001، ص.97

[9]– فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص27.

[10]– فاتح علاق: الكتابة على الشجر، دار التنوير، الجزائر،(د.ط)، 2013، ص39.

[11]– فاتح علاق: "شعرية الخطاب الصوفي في القصيدة الجزائرية المعاصرة " مجلة التبين، الجاحظية، الجزائر، ع 27، جانفي2007، ص18.

[12] – عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص77

[13] – فاتح علاق: الكتابة على الشجر، ص 45.

[14] – عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 120

[15] – المرجع نفسه، ص 124.

[16] – فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص24.

*– تناول أدونيس الحجاج رمزا للظلم في قصائده، ومن ذلك قوله:

(بين أن يرتفع الحجاج سيفا

ليشيد الدولة العظمى

وتبني لغة الحلاج كوخا

أطرح السيف وأختار...). أدونيس، كتاب القصائد الخمس،ص48–49.

[17] – المصدر نفسه: ص25.

[18] – ينظر: عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 138

[19] – المرجع نفسه، ص 138

[20]– فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص48.

[21] – علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 141

(22)– فاتح علاق: الجرح والكلمات، ص81.

(23)– المصدر نفسه، ص 89.

[24] – فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص89.

[25] – عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 175

[26] – ينظر: المرجع نفسه، ص 165

[27] – فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص27.

[28] – عثمان حشلاف: الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي فترة الاستقلال، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر،(د.ط)، 2000، ص109.

[29] – فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص107.

[30] – فاتح علاق: الجرح والكلمات، ص91-92.

[31] – سالم عليّ بيدق: تقنيات استعمال الرمز بين التسطيح والتعميق، مجلة الجامعة، قسم اللغة العربية، جامعة الزاوية، ليبيا، ج 2، ع 15، 2013م، ص34.

[32]– السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي، ص 210.

[33] –عليّ عشريزايد،استدعاءالشخصياتالتراثية،ص105

[34] – فاتح علاق: الكتابة على الشجر، ص39-41.

[35] – عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص109.

[36] – فاتح علاق: ما في الجبة غير البحر، دار التنوير، الجزائر،ط1،2017. ص 65.

[37] – ينظر: عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص49.